



## العبد بين التوبة والإستغفار والإنابة

الحمد لله العزيز الغفار الغفور الرحمن مقلب الليل والنهار الذي رحمته سبقت غضبه ، وأصلى وأسلم على النبي المختار ما تعاقب الليل والنهار وعلى أهل بيته الأطهار وصحابته الأخيار والتابعين ومن تبعهم إلى يوم الدين .

وبعد

### تعريف التوبة

**التوبة لغة:** قال ابن المنظور: "هي الرجوع من الذنب، والتوب مثله.

**وقال الأخفش:** التوب جمع توبة، مثل عَزْمَةٍ وعَزْمٍ، وتاب إلى الله يتوب توباً ومتاباً: أَناب ورجم عن المعصية إلى الطاعة.

ومذهب المبرد أن التوب مصدر كالقول، أو أنه جمع توبة كلوزة ولوذ، ومنه قوله تعالى: {أَغَافِرُ الذَّنْبِ وَقَابِلُ التَّوْبِ} [غافر: 3].

وقال أبو منصور: "أصل تاب عاد إلى الله ورجم وأناب ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: (رب تقبل توبتي واغسل حوبتي). وتاب الله عليه: أَيْ عاد عليه بالغفرة".

والتوبة لفظ يشترك فيه العبد والرب سبحانه وتعالى، فإذا سُبِّت إلى العبد فالمعنى: أنه رجع إلى ربه عن المعصية، وإذا وصف بها الرب تبارك وتعالى فالمعنى: أنه رجع على عبده برحمته وفضله. وأما عن اتصاف الله بأنه تواب بصيغة المبالغة فالمراد بذلك المبالغة في الفعل وكثرة قبوله، أو أنه لكرثة من يتوب إليه تعالى أو أنه الملهم لعباده الكثرين أن يتوبوا.

ويقول الحليمي في تفسير التواب: "إنه العائد على عبده بفضل رحمته كلما رجع لطاعته وندم على معصيته، فلا يحيط عنه ما قدمه من خير ولا يحرمه ما وعد به الطائع من الإحسان".

وقال الخطابي: "التاب: الذي يعود إلى القبول كلما عاد العبد إلى الذنب وتاب".

وأما وصف العبد بأنه تواب أي كثير الرجوع إلى الطاعة فإن الله تعالى يقول: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ لَتَوَبِّينَ وَيَحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} [البقرة: 222].

### تعريف التوبة شرعاً

للتبوية في الشرع تعاريف كثيرة ذكرها العلماء، منها:

1- قال ابن جرير الطبرى : "معنى التوبة من العبد إلى ربه: إنابتة إلى طاعته وأوبته إلى ما يرضيه، بتركه ما يسخطه من الأمور التي كان عليها مقيناً مما يكرهه ربه"

2- عرفها القرطبي بقوله " هي الندم بالقلب، وترك المعصية في الحال، والعزم على لا يعود إلى مثلها، وأن يكون ذلك حياء من الله ".

فالقرطبي جمع معظم شروط التوبة، ولكن ليست كلها، إلا أنه أضاف أمراً هاماً وهو أن تكون التوبة من أجل الله حياءً منه، لا خوفاً على منصب أو مصلحة .

3- عرفها الراغب الأصفهانى بقوله " التوبة ترك الذنب لقبحه، والندم على ما فرط منه، والعزمية على ترك المعاودة، وتدرك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة، فمما اجتمعت هذه الأربع فقد كمل شرائط التوبة".

وأضاف ابن حجر العسقلانى إلى تعريف الراغب: "ورد الظلامات إلى ذويها، أو تحصيل البراءة منهم".

4- ونقل ابن كثير عن بعض العلماء تعريفاً للتوبة فقال " :التوبة النصوح هو أن يقلع عن الذنب في الحاضر، ويندم

على ما سلف منه في الماضي، ويعزم على أن لا يفعل في المستقبل، ثم إن كان الحق لآدمي رده إليه بطريقه.  
نظرة في التعريف السابقة

مما سبق نستنتج أن التوبه هي معرفة العبد لقبح الذنوب وضررها عليه، فيقلع عنها مخلصاً في إقلاعه عن الذنب لله تعالى، نادماً على ما بدر منه في الماضي من المعاصي قصدأً أو جهلاً، عازماً عزماً أكيداً على عدم العودة إليها في المستقبل، والقيام بفعل الطاعات والحسنات، متحللاً من حقوق العباد ببردها إليهم، أو محصلاً البراءة منهم.

### تعريف الاستغفار

**الاستغفار لغة :** الاستغفار مصدر قولهم: استغفَر يستغفر، وهو مأخوذ من مادة (غَفَرَ) التي تدل على الستر في الغائب الأعم، فالغَفَرُ الستر والغفران بمعنى واحد، يقال: غفر الله ذنبه غفراً ومغفراناً.  
وقال ابن منظور: "أصل الغفر التغطية والستر يقال: اللهم اغفر لنا مغفرةً. واستغفر الله ذنبه على حذف الحرف طلب منه غفرةً".

وقال الراغب: "الغفر إلاباس ما يصونه عن الدنس".

**الاستغفار شرعاً:** الاستغفار من طلب الغفران والغفران تغطية الذنب بالعفو عنه وهو أيضاً طلب ذلك بالمقابل والفعال.

### تعريف الإنابة

**الإنابة لغة:** تدور مادة (ن و ب) حول الرجوع، يقول ابن فارس: "النون والواو والباء" كلمة واحدة تدل على اعتياد مكان ورجوع إليه".

تقول: أنا بـ فلان إلى الشيء، رجع إليه مرة بعد أخرى، وإلى الله تاب ورجع.  
وقال الراغب: "الإنابة إلى الله تعالى: الرجوع إليه بالتوبه وإخلاص العمل".

وفي التنزيل العزيز: {مُنِيبِينَ إِلَيْهِ} [الروم: 13] أي: راجعين إلى ما أمر به، غير خارجين عن شيء من أمره، قوله عز وجل:  
[وَأَنَّبَوْا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ} [الزمر: 45] أي: توبيا إليه وارجعوا.

وقال ابن الأثير "يقال: أنا بـ ينبع إنابة فهو منيб، إذا أقبل ورجع، وفي حديث الدعاء (إليك أنت)".  
**الإنابة شرعاً:** إخراج القلب من ظلمات الشبهات، وقيل: الإنابة الرجوع من الكل إلى من له الكل، وقيل:

الإنابة الرجوع من الغفلة إلى الذكر، ومن الوحشة إلى الأننس.

وقال الكفوي: "الإنابة: الرجوع عن كل شيء إلى الله تعالى".

وقال ابن القيم: "الإنابة: الإسراع إلى مرضاة الله، مع الرجوع إليه في كل وقت، وإخلاص العمل له".

### تعريف الأولية

**الأولية لغة:** الأُوب الرجوع، آب إلى الشيء: رجع، وفي حديث النبي ﷺ أنه إذا أقبل من سفر قال: (آبيون تائدون لربنا حامدون)،

وفي محكم التنزيل قوله تعالى: {وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحَسْنَ مَثَابٍ} [ص: 52] أي: حسن المرجع الذي يصير إليه في الآخر.

وفلان أواب أواه أي: رجاع إلى التوبه.

قال ابن فارس: "الهمزة والواو والباء أصل واحد، وهو الرجوع، ثم يشق منه ما يبعد في السمع قليلاً. وقال الخليل:  
آب فلان إلى سيفه أي رد يده ليستله".

**الأولية شرعاً:** قال الراغب الأصفهاني: "الأواب كالتواب وهو الراجع إلى الله تعالى بتترك المعاصي و فعل الطاعات".  
وقال أبو هلال العسكري: "الإياب هو الرجوع إلى منتهي القصد فلا يقال لمن رجع من بعض الطريق: آب، قال  
تبارك وتعالى: {إِنَّ إِلَنَا إِيَابَهُمْ} {الغاشية: 52}."

وقال ابن جرير الطبرى في تفسير قوله تعالى: {نَعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَابٌ} [ص: 03]: إنه إلى طاعة الله مقبل وإلى رضاه  
رجاع".

وقال القرطبي: "أي: نواب رجاع مطبع".

## العلاقة بين الاستغفار والإبادة والأوبة وبين التوبية

### أولاً : علاقة الاستغفار بالتوبية

جاء ذكر الاستغفار منفرداً عن التوبية، كما جاء مقترباً بها في مواضع كثيرة في الكتاب والسنّة وسنسوق الشواهد على ذلك:

#### 1- إفراد التوبية عن الاستغفار

يقول الله تبارك وتعالى: {إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَحَقُّهُمْ بِهِ} البروج: 01، ويقول عز وجل: {وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابَةً} الفرقان: 17، ويقول سبحانه: {فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ} المائدة: 93.

أما من السنة النبوية

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لله أفرح بتوبته عبده من أحدكم سقط على بيته وقد أضلها في أرض فلاة.)

#### 2- إفراد الاستغفار عن التوبية

يقول سبحانه وتعالى: {فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ} فصلت: 6،

ويقول عز وجل: {وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} الأنفال: 33،

ويقول سبحانه: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبِّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَافِرًا} نوح: 01.  
وأما من السنة

فعن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت، خلقتنى وأنا عبدك، وأنا على عهدي ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوه لك بنعمتك علىي، وأبواه بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنب إلا أنت، من قالها من النهار موافقاً بها فمات قبل أن يسمى فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل وهو موافق بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (يتزل رينا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفري فأغفر له).

#### 3- اقتران الاستغفار بالتوبية

يقول الله تعالى: {وَإِنِ اسْتَغْفِرُوا رَبِّكُمْ ثُمَّ تُوَبُوا إِلَيْهِ يُمْتَعَكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مَسْمَى وَيَوْمٌ كُلُّ ذِي فَضْلٍ فَضْلُهُ إِنَّ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ} هود: 3،

ويقول عز وجل: {وَاسْتَغْفِرُوا رَبِّكُمْ ثُمَّ تُوَبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبَّيْ رَحِيمٌ وَدَوْدٌ} هود: 09،

ويقول سبحانه: {وَيَأْتُوكُمْ اسْتَغْفِرُوا رَبِّكُمْ ثُمَّ تُوَبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا وَيَزِدُكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ} هود: 25.

فعن أبي هريرة رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (والله إنني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة).

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: كانت تُعد لرسول الله ﷺ في المجلس الواحد مائة مرة من قبل أن يقوم: رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الغفور.

#### أقوال العلماء في الفرق الاستغفار بين التوبية

إذا اقترن ذكر التوبية بالاستغفار فإن الاستغفار حينئذ هو طلب المغفرة بالدعاء، والتوبية هي الندم على الخطيئة مع العزم على ترك المعاودة.

وقيل: إن الاستغفار إذا اقترن بالتوبية فإنه يعني طلب وقاية شر ما مضى، والتوبية الرجوع وطلب وقاية شر ما يخافه في المستقبل من سيئات أعماله، وأيضاً فالاستغفار من باب إزالة الضرر، والتوبية طلب جلب المنفعة، فالرغبة أن يقي شر الذنب، والتوبية أن تحصل له بعدها الوقاية مما يحبه.

وإذا أفرد الاستغفار أو أفردت التوبية يكون معناهما واحداً، قال ابن القيم: "الاستغفار المفرد كالتابة، بل هو التوبية"

بعينها مع تضمنه طلب المغفرة من الله، وهو محو الذنب وإزالة أثره ووقاية شره، لا كما يظنه بعض الناس أن المغفرة تعني الستر، فإن الله يستر على من يغفر له، ومن لا يغفر له ولكن الستر لازم مسمها أو جزءه".

### ثانياً: علاقة الإنابة بالتوبية

الإنابة كالتوبية في أنها تعني الرجوع، يقول ابن منظور: "الإنابة الرجوع إلى الله بالتوبية". لكن بعض العلماء كالراغب الأصفهاني وابن القيم والماوردي وابن منظور والجوهري يرون أن للإنابة معنى زائداً عن التوبية.

يقول ابن القيم رحمة الله: "من نزل في التوبية وقام مقامها نزل في جميع منازل الإسلام فإن التوبية الكاملة متضمنة لها، وهي متدرجة فيها، فإذا استقرت قدمه في منزل التوبية نزل بعده منزل الإنابة".

### ثالثاً: علاقة الأوبة بالتوبية

الأوبة تفيد معنى الرجوع كالتوبية، يقول ابن منظور: "الأوب: الرجوع، آب إلى الشيء رجع، يؤوب أوباً وإياباً وأوبة وأبيه".

ويقول الرزيدي: "الأوبة: الرجوع، آب الشيء رجع، وأواب وتأوب وأيب كله: رجع".

إذاً مادة (أوب) تفيد الرجوع وهي أصل التوبية فالعلاقة بين الأوبة والتوبية واضحة في كونهما يفيدان الرجوع والخصوص.

## حكم التوبية وشروطها

ورد الأمر بالتوبية في القرآن الكريم والسنة المطهرة، فمما ورد في القرآن الكريم قول الله تعالى: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} النور: 13.

قال السعدي: "أمر الله تعالى بالتوبية فقال: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}، ثم علق على ذلك الفلاح، فلا سبيل إلى الفلاح إلا بالتوبية، وهي الرجوع مما يكرهه الله ظاهراً وباطناً إلى ما يحبه ظاهراً وباطناً، ودل هذا أن كل مؤمن يحتاج إلى التوبية لأن الله خاطب المؤمنين جميعاً وفيه الحث على الإخلاص بالتوبية".

وقال سبحانه وتعالى: {وَاسْتَغْفِرُوا رَبِّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبَّنِي رَحِيمٌ وَدُودٌ} هود: 09،

ويقول سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا} التحرير: 8، وغيرها من الآيات.

أما الأحاديث الدالة على الأمر بالتوبية فمنها

عن أبي برد قال: سمعت الأغر المزني رضي الله عنه يحدث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : يا أيها الناس توبوا إلى الله، فإني أتوب في اليوم مائة مرة.).

والآيات والحديث تضمنت الأمر بالتوبية، والأصل في الأمر الوجوب، ولا يصرف عنه إلى الندب إلا بقرينة، ولا قرينة هنا.

قال القرطبي: "وأتفقت الأمة على أن التوبية فرض على المؤمنين".

وقال أيضاً: "وهي فرض على الأعيان في كل الأحوال وكل الأزمان".

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ولا بد لكل عبد من توبية، وهي واجبة على الأولين والآخرين".

أما النظر فإنه يؤكّد أن الإنسان لا يخلو من معصية فلا يسلم من هذا النقص أحد من البشر، وإنما يتفاوت الخلق في المقادير، أما أصل ذلك فلا بد منه، وهو يجبر بالتوبية النصوح، وإلى هذا يشير النبي ﷺ بقوله: (كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون). وذلك لأن السهو والتقصير من طبع الإنسان.

ولما كانت الذنوب انحراف عن خط الاستقامة وإضرار بمصالح البشرية فإنها تهدى الحياة الإنسانية وتتنفس عيشتها وتعرضها للخطر، وليس من العقلاء من يرضى بهذا المصير ولا يسعى إلى تغييره؛ لذا كانت التوبية واجبة أيضاً بالعقل والنظر الصحيح.

والتبوية واجبة من كل الذنوب صغيرها وكبیرها ما يعلم منها وما لا يعلم عمداً أو سهواً جداً أو هزاً، وذلك لأمر الله عز وجل عباده بها، وهذا الأمر للعموم؛ لذا فهو يشمل جميع الذنوب ولم يخص التوبية من ذنب دون آخر.

يقول الرازمي عند تفسيره لقوله تعالى: {إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَاصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ} البقرة: 061: التوبية لا تحصل إلا بتترك ما لا يبني وي فعل كل ما يبني".

وفي سنة الرسول صلى الله عليه وسلم كثير من الأحاديث التي تدل على إكثاره ﷺ من التوبية، وفي فعله تعليم لأمته

## عليه الصلاة والسلام.

فعن أبي موسى عن النبي ﷺ أنه كان يدعوا بهذا الدعاء: (رب اغفر لي خططي وجهلي، وإسرافي في أمري كله، وما أنت أعلم به مني، اللهم اغفر لي خطاياي وعمدي وجاهلي وهزلني، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قادر).  
ووجه الدلالة من الحديث أن العبد يسأل الله التوبة والمغفرة في جميع أحواله في العمد والجهل والهزل وما فعله في السر والعلنية.

يقول النووي رحمه الله عند شرحه للحديث القدسي: (أنا عند ظن عبدي بي: )التوبة من جميع المعاصي واجبة، وإنها واجبة على الفور، لا يجوز تأخيرها، سواء كانت المعصية صغيرة أو كبيرة، والتوبة من مهمات الإسلام وقواعداته المتأكدة، ووجوبها عند أهل السنة بالشرع".

ويعلل الغزالى لوجوب التوبة من جميع الذنوب فيقول: "وأما بيان وجوبها على الدوام وفي كل حال فهو أن كل بشر لا يخلو عن معصية بجوارحه، إذ لم يخل عنه الأنبياء، كما ورد في القرآن والأخبار من خطايا الأنبياء وتوبتهم وبكلائهم على خطاياهم، فإن خلا في بعض الأحوال عن معصية الجوارح، فلا يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب، فإن خلا في بعض الأحوال عن الهم فلا يخلو عن وسواس الشيطان بإياد الخواطر المتفرقة، فإن خلا عنه فلا يخلو من غفلة وقصور في العلم بالله وصفاته وأفعاله، وكل ذلك نقص وله أسباب، وترك أسبابه بالتشاغل بأضدادها رجوع عن طريق إلى ضده".

## أما شروط قبول التوبة

باب التوبة مفتوح على مصراعيه دائمًا لـكل من أراد الدخول فيه بعد أن استيقظ قلبه وقويت عزيمته على هجر المعاصي والذنوب.

قال سيد قطب: "باب التوبة دائمًا مفتوح يدخل منه كل من استيقظ ضميره وأراد العودة والماب، لا يصد عنه قاصد ولا يغلق في وجه لاجئ، أياً كان وأياً ما ارتكب من الآثم".

وعلى ضوء ما ذكر في تعريف التوبة يمكن أن نقسم شروط قبول التوبة إلى قسمين

**الأول:** شروط تتعلق بترك الذنب.

**الثاني:** شروط تتعلق بزمن قبول التوبة.

**أولاً:** الشروط التي تتعلق بترك الذنب

**الشرط الأول:** الإسلام

التوبة لا تصح إلا من مسلم، أما الكافر فإن توبته تعني دخوله الإسلام، قال القرطبي: "اعلم أن التوبة إما من الكفر وإما من الذنب، فتوبة الكافر مقيولة قطعاً، وتوبة العاصي مقبولة بالوعد الصادق".

قال الله عز وجل: {وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدُهُمُ الْمَوْتَ قَالَ إِنِّي تَبَّأْتُ الآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمْوِتونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} النساء: 81.

والمراد من الآية نفي وقوع التوبة الصحيحة من المشركين، وأنه ليس من شأنها أن تكون لهم قوله: {وَلَا الَّذِينَ يَمْوِتونَ وَهُمْ كُفَّارٌ} أي: لا توبة لأولئك ولا لهؤلاء.

وقال الله عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكَ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} النساء: 611.

قال سيد قطب: "ولا غرفان لذنب الشرك متى مات صاحبه عليه.. بينما باب التوبة مفتوح لكل ذنب سواء عندما يشاء الله، والسبب في تعظيم جريمة الشرك وخروجهما من دائرة المغفرة أن من يشرك بالله يخرج عن حدود الخير والصلاح تماماً، وتفسد كل فطرته بحيث لا تصلح أبداً".

وقال سبحانه وتعالى: {إِنَّ تَائِبًا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَءَاتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْرَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنَقْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} التوبة: 11.

## الشرط الثاني: الإخلاص

إن التائب من المعاصي لا تصح توبته إلا بالإخلاص، فمن ترك ذنباً من الذنوب لغير الله تعالى، كالخوف من الفضيحة أو تغيير الناس له أو عجز عن اقترافه أو خاف من فوات مصلحة أو منفعة قد تضيع بالاستمرار على تلك المعصية. مثال ذلك من تاب عن أخذ الرشوة لا خوفاً من الله واللعنة، ولكن لتوليه منصباً اجتماعياً لا يسمح له

بأخذها، فإن توبته وتبوية من تقدم تكون مردودة باتفاق أهل العلم  
وقال الله تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةَ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف: 011].  
يقول الشنقيطي في قوله: {وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةَ رَبِّهِ أَحَدًا}: "أعم من الرياء وغيره، أي: لا يعبد ربه رياء وسمعة ولا يصرف شيئاً من حقوق خالقه لأحد من خلقه لأن الله يقول: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ} [النساء: 84] إلى غير ذلك من الآيات، ويفهم من مفهوم مخالفة الآية الكريمة أن الذي يشرك أحداً بعبادة ربه، ولا يعمل صالحاً أنه لا يرجو لقاء ربه، والذي لا يرجو لقاء ربه لا خير له عند الله".  
والتبوية من الأعمال الصالحة التي يجب فيها الإخلاص حتى تقبل عند الله عز وجل كسائر العبادات والقربات.  
**والآيات والأحاديث في ذلك معروفة مشهورة.**

### الشرط الثالث: الاعتراف بالذنب

إن التوبية لا تكون إلا عند ذنب، وهذا يعني علم التائب ومعرفته لذنبه، وجهل التائب بذنبه ينافي الهدى؛ لذلك لا تصح توبته إلا بعد معرفته للذنب والاعتراف به وطلبه التخلص من ضرره وعواقبه الوخيمة.  
والدليل من السنة قوله ⊗ لعائشة رضي الله عنها في قصة الإفك: (أما بعد، يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألمت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنب ثم تاب تاب الله عليه).)

قال ابن القيم: "إن الهداية التامة إلى الصراط المستقيم لا تكون مع الجهل بالذنب، ولا مع الإصرار عليها، فإن الأول جهل ينافي معرفة الهدى، والثاني: غي ينافي قصده وإرادته، فلذلك لا تصح التوبية إلا من بعد معرفة الذنب والاعتراف به وطلب التخلص من سوء عاقبته أولاً وأخراً".

### الشرط الرابع: الإقلاع عن الذنب

الإقلاع عن الذنب شرط أساسى للتوبية المقبولة، فالذى يرجع إلى الله وهو مقيم على الذنب لا يعد تائباً، وفي قوله تعالى {وتوبوا} إشارة إلى معنى الإقلاع عن المعصية؛ لأن النفس المتعلقة بالمعصية قلما تخلص في إقبالها على عمل الخير؛ لذلك كان على التائب أن يجاهد نفسه فيقتلع جذور المعاصي من قلبه، حتى تصبح نفسه قوية على الخير مقبلة عليه نافرة عن الشر متغلبة عليه ياذن الله.

### الشرط الخامس: الندم

الندم ركن من أركان التوبية لا تتم إلا به، وهو في اللغة: التحسس من تغير رأي في أمر فائد.  
وقد أشار النبي ⊗ إلى قيمة الندم فقال: (الندم توبية).  
ومعنى أنه توبية: أي عمدة أركان التوبية كقوله عليه السلام: (الحج عرفة).

### الشرط السادس: العزم على التوبية

العزم مترب على الندم، وهو يعني الإصرار على عدم العود إلى الذنوب ثانية، والعزم في اللغة: عقد القلب على إمضاء الأمر.

ويقول عز وجل حاكياً عن أبينا آدم عليه السلام: {وَلَقَدْ عَهَدْنَا إِلَىٰ عَادَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَسِّيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزَمًا} [طه: 511، أي: لم نجد له صبراً وعزيمة، حيث لم يحتذر عن الغفلة من وساوس الشيطان، وهذه الآية تشير إلى أن المؤمن لا بد وأن تكون عنده عزيمة قوية وإرادة فعالة. والتائب أكثر الناس حاجة إلى العزيمة والإرادة القوية حتى يمكن من السيطرة على شهواته ورغباته، فيقف أمامها وقفه صمود وقوة، تجعله لا يعود الذنوب ثانية، فتكون توبته صحيحة مقبولة.]

### الشرط السابع: رد المظالم إلى أهلها

ومن شروط التوبية التي لا تتم إلا بها رد المظالم إلى أهلها، وهذه المظالم إما أن تتعلق بأمور مادية، أو بأمور غير مادية، فإن كانت المظالم مادية كاغتصاب المال فيجب على التائب أن يردها إلى أصحابها إن كانت موجودة، أو أن يتخللها منهم، وإن كانت المظالم غير مادية فيجب على التائب أن يطلب من المظلوم العفو عن ظلامته وأن يعمل على إرضائه، وفي هذا يقول ⊗: من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتخلله منها، فإنه ليس ثم دينار ولا درهم، من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سينات أخيه فطرحت عليه).

قال ابن حجر: "فوجه الحديث عندي - والله أعلم - أنه يعطى خصومه المؤمن المسيء من أجر حسناته ما يوازي عقوبة سيناته، فإن فنيت حسناته أخذ من خطايا خصومه فطرحت عليه، ثم يعذب إن لم يعف عنه، فإذا انتهت عقوبة تلك الخطايا أدخل الجنة بما كتب له من الخلود فيها بإيمانه ولا يعطى خصماً ما زاد من أجر حسناته على ما قابل

من عقوبة سيئاته، يعني من المضاعفة؛ لأن ذلك من فضل الله يختص به من وافي يوم القيمة مؤمناً والله أعلم."

ثانياً : الشروط التي تتعلق بزمن قبول التوبة وهي شرطان

### الشرط الأول : أن تقع التوبة قبل الغرغرة

وقد أشارت إليه آياتان من سورة النساء فقال سبحانه: {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَاهَةٍ ثُمَّ يَتَوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} \* وَكَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدُهُمُ الْمَوْتَ قَالَ إِنِّي تَبَّأْتُ إِلَآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمْوَثُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} النساء: 81-71.

قال القرطبي "نفي سبحانه أنه يدخل في حكم الثنائيين من حضره الموت وصار في حين الیأس كما كان فرعون حين صار في غمرة الماء والغرق فلم ينفعه ما أظهره من الإيمان؛ لأن التوبة في ذلك الوقت لا تنفع؛ لأنها حال زوال التكليف. "

والى هذا يشير الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله يقبل توبية العبد ما لم يغدر).

يقول المباركفوري "أي: ما لم تبلغ الروح إلى الحلقوم يعني ما لم يتيقن الموت فإن التوبة بعد التيقن بالموت لم يعتد بها".

### الشرط الثاني : أن تقع التوبة قبل طلوع الشمس من مغربها

قال الله تعالى: {يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ أَيَّاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءامَنَتْ مِنْ قَبْلُ} الأنعام: 851.

يقول الألوسي: "والحق أن المراد بهذا البعض الذي لا ينفع الإيمان عنده طلوع الشمس من مغربها".

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت فرأها الناس آمنوا أجمعون) (فذلك حين لا ينفع نفسها إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً ثم فرّأها الآية).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (ومن تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه).

وعن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: (إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها).

ويعلل القرطبي نقلآً عن جماعة من العلماء عدم قبول الله إيمان من لم يؤمن وتوبه من لم يتوب بعد طلوع الشمس فيقول: " وإنما لا ينفع نفساً إيمانها عند طلوعها من مغربها لأنها خلص إلى قلوبهم من الفزع ما تخدم معه كل شهرة من شهوات النفس، وتفتر كل قوة من قوى البدن، فيصير الناس كلهم - لإيقانهم بدنو القيمة - في حال من حضره الموت في انقطاع الدواعي إلى أنواع المعاصي عنهم وبطلازها من أبدانهم، فمن تاب في مثل هذه الحال لم تقبل توبته كما لا تقبل توبه من حضره الموت".

### فضائل التوبة والاستغفار في القرآن الكريم

أولاً: قبول التوبة والمغفرة من صفات الرحمن جل جلاله

قال الله تعالى: [إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيْنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَابُ الرَّحِيمُ] البقرة: 061.

قال ابن جرير : "[فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ] يعني: هؤلاء الذين فعلوا هذا الذي وصفت منهم هم الذين أتوب عليهم فأجعلهم من أهل الإيمان إلى طاعتي والإبادة إلى مرضاتي {وَأَنَا التَّوَابُ الرَّحِيمُ} يقول: وأنا الذي أرجع بقلوب عبيدي المنصرفة عنِّي إلىِّي، والرَّادها بعد إدبارها عن طاعتي إلى طلب محبتِي".

قال الله تعالى: {وَمَاخِرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَّا صَالَهُ وَآخَرَ سِيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} التوبة: 201.

قال السعدي: "[إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ] أي: وصفه المغفرة والرحمة اللتان لا يخلو مخلوق منها، بل لا بقاء للعالم العلوي والسفلي إلا بهما، فلو يؤخذن الله الناس بظلمهم ما ترك على ظهرها من دابة".

وقال تعالى: {أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبِلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَابُ الرَّحِيمُ} التوبة: 401.

قال السعدي "أي: كثير التوبة على الثنائيين، فمن تاب إليني عليه، ولو تكررت منه المعصية مراراً، ولا يمل الله من التوبة على عباده حتى يملوا هم".

وقال تعالى: {حَمْ تَزَبِيلُ الْكِتَبِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ غَافِرُ الذَّنْبِ وَقَابِلُ التَّوْبِ شَدِيدُ الْعِقَابِ ذِي الطُّولِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

### إِلَيْهِ الْمَصِيرُ } غافر: 1-3.

قال وهبة الزحيلي "ثم وصف الله نفسه بستة أنواع من الصفات الجامدة بين الوعد والوعيد والترغيب والترهيب فقال: {غَافِرُ الذَّنْبِ وَقَابِلُ التُّوبِ} غافر: 3 ، أي: أن الله هو غافر الذنب الذي سلف لأولئك، سواء أكان صغيراً أم كبيراً بعد التوبة، أو قبل التوبة بمشيئته، وقابل توبتهم المخلصة".  
ثانياً: أمر الله عز وجل عباده بالتوبة والاستغفار:

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا} التحرير: 8.

قال القرطبي: "أمر بالتوبة وهي فرض على الأعيان في كل الأحوال وكل الأزمان."

وقال الله تعالى: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}.

قال القرطبي: "أمر، ولا خلاف بين الأمة في وجوب التوبة وأنها فرض متعين."

وقال الله تعالى: {وَاسْتَغْفِرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا} النساء: 601،

وقال الله تعالى: {لَمْ يَأْفِضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضُ النَّاسُ وَاسْتَغْفَرُوا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} البقرة: 991.

قال السعدي: "أمر الله بالاستغفار والإكثار من ذكره عند الفراغ من المناسب، فالاستغفار للخلل الواقع من العبد في أداء عبادته وتقصيره فيها".

وقال الله تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرُ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقْبَلَكُمْ وَمُنْتَوْكُمْ} محمد: 91.

قال ابن حجر الطبرى: "وصل ربك غفران ذنبك وحادتها وذنبها وذنب أهل الإيمان بك من الرجال والنساء".

وقال تعالى: {إِذَا جَاءَ نَصْرٌ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْواجًا \* قَسْبَحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرَةً إِنَّهُ كَانَ تَوْبَانَا} النصر: 1-3.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما صلّى رسول الله صلاة بعد أن نزلت عليه سورة {إِذَا جَاءَ نَصْرٌ اللَّهِ وَالْفَتْحُ} إلا ويقول: سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي.

ثالثاً: التوبة والاستغفار من صفات الأنبياء والصالحين

قال الله تعالى: {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لَمِيقَاتَنَا وَكَلَمَةً رَبَّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقْرِرْ مَكَانَهُ فَسُوفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكَّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سَبِّحَانَكَ تَبَّتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ} الأعراف: 341.

قال مجاهد: "من مسألة الرؤية في الدنيا، وقيل: سأله من غير استئذان فلذلك تاب ، وقيل: قاله على جهة الإنابة إلى الله والخشوع له عند ظهور الآيات".

وقال الله تعالى: {الثَّائِرُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّكِعُونَ السَّاجِدُونَ} التوبة: 112.

قال ابن كثير: "هذا نعت المؤمنين الذين اشتري الله منهم أنفسهم وأموالهم بهذه الصفات الجميلة والخلال الجليلة".

وقال تعالى: {أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَيَشِيرُ وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبِّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمْتَعَكُمْ مَتَّعًا حَسَنًا إِلَى أَجْلِ مَسَمَّى وَيَوْمَ تُرْكَتُ كُلَّ ذِي فَضْلَهُ وَإِنْ تَوْكُوا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابًا يَوْمَ كَبِيرٍ} هود: 2-3.

قال ابن كثير: "أي: وآمركم بالاستغفار من الذنب السالفة والتوبة منها إلى الله عز وجل فيما تستقبلونه، وأن تستمروا على ذلك".

قال الله تعالى: {وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبِّنَا أَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَبَثَتْ أَفْدَامَنَا وَانْصَرَنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} آل عمران: 741،

وقال الله تعالى: {رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مَنَادِيَ يَنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمَنُوا بِرَبِّكُمْ فَثَامِنَا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ} آل عمران: 391،

وقال الله تعالى في قصة توبه آدم عليه السلام: {فَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} الأعراف: 32،

وقال تعالى: {وَلَقَدْ فَتَّا سُلَيْمَانَ وَالْقَيْنَاءَ عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ قَالَ رَبَّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ

**مَنْ بَعْدِيْ إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَابُ** {ص: 43، 35}

رابعاً: دعوة الأنبياء والصالحين أقوامهم للتوبة والاستغفار

قال الله تعالى: {وَإِلَيْكُمْ عَادَ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ \* يَا قَوْمَ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا عَلَى الدِّيْنِ فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ \* وَيَا قَوْمَ اسْتَغْفِرُوكُمْ ثُمَّ تُوَبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مَدَارِأً وَيَزِدُكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَنْتَلِّوْا مُجْرِمِينَ} [هود: 25-50].

قال السعدي: "استغفروا ربكم عما مضى منكم، ثم توبوا إليه فيما تستقبلونه بالتوبة النصوح والإذابة إلى الله تعالى".

وقال الله تعالى: {وَإِلَيْكُمْ ثُمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحَا قَالَ يَا قَوْمَ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرُكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوكُمْ ثُمَّ تُوَبُوا إِلَيْهِ إِنْ رَبِّيْ قَرِيبٌ مُجِبٌ} [هود: 16]، وقال تعالى حاكياً قول شعيب عليه السلام لقومه: {وَاسْتَغْفِرُوكُمْ ثُمَّ تُوَبُوا إِلَيْهِ إِنْ رَبِّيْ رَحِيمٌ وَدَوْدٌ} [هود: 09].

قال السعدي في سرده لفوائد قصة شعيب: "ومنها: أن التائب من الذنب كما يسمح له عن ذنبه ويعفى عنه فإن الله تعالى يحبه ويؤده ولا عبرة بقول من قال :

( إن التائب إذا تاب فحسبه أن يغفر له ويعود عليه بالعفو وأما عود الود والحب فإنه لا يعود ) ،

فإن الله تعالى قال: {وَاسْتَغْفِرُوكُمْ ثُمَّ تُوَبُوا إِلَيْهِ إِنْ رَبِّيْ رَحِيمٌ وَدَوْدٌ} .

خامساً : بيان جزاء التوبة في الدنيا والآخرة

أ- محبة الله عز وجل للثائبين

قال الله عز وجل: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوْبَةَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} .

ب- حصول المغفرة من الله عز وجل

قال تعالى: {وَإِنِّي لَغَافِرٌ لِمَنْ تَابَ وَإِمَانَ وَعَمَلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى} [طه: 28].

قال ابن كثير: " {وَإِنِّي لَغَافِرٌ} أي: كل من تاب إلى رب تبت عليه من أي ذنب كان حتى إنه تاب تعالى على من عبد العجل من بنى إسرائيل، قوله: {تَابَ} أي: رجع عما كان فيه من كفر أو شرك أو معصية أو نفاق".

ج- الفلاح في الدنيا والآخرة

قال تعالى: {إِلَّا مَنْ تَابَ وَإِمَانَ وَعَمَلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا} الفرقان: 07

قال السعدي: " {وَتُوَبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا} لأن المؤمن يدعوه إيمانه إلى التوبة، ثم علق على ذلك الفلاح فقال: {لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} فلا سبيل إلى الفلاح إلا بالتوبة وهي الرجوع مما يكرهه الله ظاهراً وباطناً إلى ما يحبه ظاهراً وباطناً".

د- تبديل السيئات إلى حسنات

قال الله تعالى: {إِلَّا مَنْ تَابَ وَإِمَانَ وَعَمَلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا} .

قال القرطبي: " قال النحاس : من أحسن ما قيل فيه أنه يكتب موضع كافر مؤمن وموضع عاصي مطيع، وقال مجاهد والضحاك: أن يبدلهم الله من الشرك بالإيمان وروي نحوه عن الحسن.

وقال أبو هريرة: ذلك في الآخرة فيمن غلت حسناته على سيئاته، فيبدل الله السيئات حسنات.

وقال القرطبي: فلا يبعد في كرم الله تعالى إذا صحت توبته العبد أن يضع مكان كل سيئة حسنة وقد قال ﴿﴾: أتبع السيئة الحسنة تمحها وخالف الناس بخلق حسن ( وفي صحيح مسلم عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﴿﴾: إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة وآخر أهل النار خروجاً منها، رجل يؤتى به يوم القيمة فيقال: اعرضوا عليه صغارة ذنبه، وارفعوا عنه كبارها، فتعرض عليه صغارة ذنبه فيقال: عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا، فيقول: نعم، لا يستطيع أن ينكر، وهو مشفع من كبار ذنبه أن تعرض عليه، فيقال له: فإن لك مكان كل مكان كل مكان كل سيدة حسنة، فيقول: يا رب قد عملت أشياء لا أراها ها هنا)، فلقد رأيت رسول الله ﴿﴾ ضحك حتى بدت نواجده. "

هـ- تكفير السيئات ودخول الجنات

قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوَبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَكْفَرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَدْخُلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزَى اللَّهُ النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورٌ هُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا

**أَتْمِنْ لَنَا نُورَنَا وَأَغْفِرْ لَنَا إِنْكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.**

قال السعدي: "قد أمر الله بالتوبه النصوح في هذه الآية، ووعد عليها بتکفير السیئات ودخول الجنات والفوز والفلح".

#### و- من العذاب في الدنيا

قال الله تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَعْذِبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} الأنفال:33.

قال ابن عباس رضي الله عنهم: (كان فيهم أمانان : النبي ﷺ والاستغفار، فذهب النبي ﷺ وبقي الاستغفار).

ز- الإمداد بالأموال والبنين وإنزال الغيث

قال تعالى: {فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبِّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَارًا . يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مَدْرَارًا . وَيَمْدِدُكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلُ لَكُمْ أَنْهَارًا} نوح: 01-12.

قال ابن عباس رضي الله عنهم: (أي: إذا تبت إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه كثرة الرزق عليكم وأسفاكم من بركات السماء، وأنبت لكم من برکات الأرض، وأنبت لكم الزرع، وأدر لكم الضرع، وأمدكم بأموال وبنين، أي: أعطاكم الأموال والأولاد، وجعل لكم جنات فيها أنواع الشمار وخللها بالأنهار الجارية بينها).

فضائل التوبه والاستغفار في السنة النبوية

1- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : إن العبد إذا أخطأ نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب صُقل قلبه، وإن عاد زيد فيه، حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذكر الله: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} {المطففين:41}.

قال المباركفوري: "والمعنى: نظف وصفى مرآة قلبه، لأن التوبه بمنزلة المصقلة، تمحو وسخ القلب وسواده حقيقةً أو تمثيلياً".

2- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها).

3- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدلّ على راهب فأتاوه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبه؟ فقال: لا، فقتله فكمل به مائة، ثم سأله عن أعلم أهل الأرض فدلّ على رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبه؟ فقال: نعم، ومن يتحول بينه وبين التوبه، انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً فقط، فأتاهم ملك الموت في صورة آدمي، فجعلوه بينهم فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتها كان أدنى فهو له، ففاسدوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة).

قال ابن حجر: "وفيه مشروعية التوبه من جميع الكبائر حتى من قتل الأنفس، ويحمل على أن الله إذا قبل توبه القاتل تکفل ببرضا خصمه... وقال عياض: وفيه أن التوبه تنفع من القتل كما تنفع من سائر الذنوب وهو وإن كان شرعاً لمن قبلنا وفي الاحتجاج به خلاف، لكن ليس هذا من موضع الخلاف، لأن موضع الخلاف إذا لم يرد في شرعاً تقريره موافقته، أما إذا ورد فهو شرع لنا بلا خلاف".

4- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لله أفرح بتوبه العبد من رجل نزل متولاً وبه مهلكة، ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه فنام نومة، فاستيقظ وقد ذهبت راحلته حتى اشتد عليه الحر والعطش، أو ما شاء الله قال: أرجع إلى مكاني، فرجع فنام نومة، ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده).

5- عن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي ﷺ : سيد الاستغفار أنس يقول: اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت خلقتنى، وأنا عبدك وأنا على عهدي ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علىي، وأبوء لك بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، قال ومن قالها من النهار موتنا بها فمات من يومه قبل أن يمسى فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل وهو مومن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة).

قال ابن أبي جمرة: "جمع ﷺ في هذا الحديث من بديع المعاني وحسن الألفاظ ما يحق له أن يسمى سيد الاستغفار، فيه الإقرار لله وحده بالإلهية والعبودية والاعتراف بأنه الخالق، والإقرار بالعهد الذي أخذه عليه، والرجاء بما وعده، والاستعاذه من شر ما جنى العبد على نفسه، وإضافة النعماء إلى موجودها وإضافة الذنب إلى نفسه، ورغبته في

المغفرة، واعترافه بأنه لا يقدر أحد على ذلك إلا هو، وفي كل ذلك الإشارة إلى الجمع بين الشريعة والحقيقة، فإن تكاليف الشريعة لا تحصل إلا إذا كان في ذلك عون من الله تعالى".

6- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (والله إني لأشتغل الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة).

قال ابن بطال: "الأنبياء أشد الناس اجتهاداً في العبادة لما أعطاهم الله تعالى من المعرفة فهم دائمون في شكره معتزون له بالتقدير".

وقال الغزالى: "كان صلی الله عليه وسلم دائم الترقى فإذا ارتقى إلى حال رأى ما قبلها دونها، فاستغفر من الحالة السابقة وهذا مرجع على أن العدد المذكور في استغفاره كان مفرقاً بحسب تعدد الأحوال".

7- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه عز وجل قال: (اذنب عبد ذنباً فقال: اللهم اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أنه له رياً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب، اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنباً فعلم أن له رياً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب، اغفر لي ذنبي فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدي ذنباً فعلم أن له رياً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، اعمل ما شئت فقد غفر لك)، قال عبد الأعلى : لا أدرى أقال في الثالثة أو الرابعة: (اعمل ما شئت).

قال القرطبي: "يدل هذا الحديث على عظيم فائدة الاستغفار وعلى عظيم فضل الله وسعة رحمته وحلمه وكرمه، لكن هذا الاستغفار هو الذي ثبت معناه في القلب مقارناً للسان لينحل به عقد الإصرار ويحصل معه الندم، فهو ترجمة للتوبة"

### الآثار والأقوال الواردة في التوبة والاستغفار

قال محمد بن كعب القرظى: "يجمعها أربعة أشياء: الاستغفار باللسان، والإقلال بالأبدان، وإضمار ترك العودة بالجنان، ومهاجرة سبئي الإخوان".

قال يحيى بن معاذ: "الذي حجب الناس عن التوبة طول الأمل، وعلامة التائب إسبال الدمعة، وحب الخلوة، والمحاسبة للنفس عند كل همة".

وقال بعض أهل العلم: "من أعطي أربعاً لم يمنع أربعاً: من أعطي الشكر لم يمنع المزيد، ومن أعطي التوبة لم يمنع القبول، ومن أعطي الاستخاراة لم يمنع الخيرة، ومن أعطي المشورة لم يمنع من الصواب".

قال ابن القيم: "التوبة من أفضل مقامات السالكين؛ لأنها أول المنازل وأوسطها وأخرها، فلا يفارقها العبد أبداً، ولا يزال فيها إلى الممات، وإن ارتحل السالك منها إلى منزل آخر ارتحل به وتنزل به، فهي بداية العبد ونهايته، و حاجته إليها في النهاية ضرورية كما حاجته إليها في البداية كذلك".

قال أبو موسى رضي الله عنه: "كان لنا أمانان، ذهب أحدهما وهو كون الرسول علينا، وبقي الاستغفار معنا، فإذا ذهب هلكنا".

قال الفضيل رحمة الله: "استغفار بلا إقلال توبة الكاذبين".

ويقاريه ما جاء عن رابعة العدوية: "استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير".

سئل سهل عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال: "أول الاستغفار الاستجابة، ثم الإنابة، ثم التوبة، فالاستجابة أعمال الجوارح، والإنابة أعمال القلوب، والتوبة إقباله على مولاه بأن يترك الخلق، ثم يستغفر من تقديره الذي هو فيه".

قال ابن الجوزي: "إن إبليس قال: أهلكتبني آدم بالذنوب وأهلكوني بالاستغفار وبـ (لا إله إلا الله)، فلما رأيت ذلك بثت فيهم الأهواء فهم يذنبون ولا يتوبون؛ لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً".

تابع

## مسائل في التوبة

